التوكل على الله

تأليف

د / على راشد

رسوم

ماهر عبد القادر

التجهيزات الفنية

شركة لمحة آرت

جميع الحقوق محفوظة

برقم إيداع، 2010/20638

المجد للنشر والتوزيع، 0106372799

فـي لقاءٍ مُتجدِّدٍ بَيْنَ الأُسْتَاذِ وتلْميذِهِ وتِلْميذَتِهِ، قَالَ التِّلْميذُ: أُسْتَاذِي الْجَلِيلَ، لاحَظْتُ كَثِيرًا أَنَّنِي عِنْدَمَا أَخْرُجُ مِنَ الْمَنْزِلِ مَعَ أَبِي، أَجِدُهُ يُتَمْتِمُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ قَائِلاً: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، فَمَا مَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ؟

ابْتَسَمَ الأُسْتَاذُ وَقَالَ: إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ يَا بُنَيَّ قِيمَةٌ دِينِيَّةٌ عَظِيمَةٌ. وَهِيَ تَعْنِي أَنْ يَعْتَمِدَ الْمُسْلِمُ الْحَقُّ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، فَإِذَا سَأَلَ حَاجَةً مَا فَلْيَسْأَلِ اللهَ وَحْدَهُ، وَإِنِ اسْتَعَانَ، فَلْيَسْتَعِنْ بِاللهِ وَحْدَهُ، وَأَنْ يُسَلِّمَ مَقَالِيدَ أَمْرِهِ كُلِّهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة: المائدة، آية ٢٣).

قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ: مِنْ فَضْلِكَ يَا أُسْتَاذِي، أَرْجُو أَنْ تُعْطِينَا بَعْضَ الأَمْثِلَةِ عَلَى هَذِهِ الْقِيمَةِ الدِّينِيَّةِ؟

أَجَابَ الأُسْتَاذُ: بِكُلِّ سُرُورٍ يَا بُنَيَّتِي.. إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ جَعَلَ النَّارَ الْحَارِقَةَ بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى نَبِيِّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَجَعَلَ الْبَحْرَ الَّذِي هُوَ مَكْمَنُ الْغَرَقِ وَالْمَوْتِ سَبَبًا لِنَجَاةِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عليه السلام. وَهُوَ السَّبَبُ فِي نَجَاةِ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه يَوْمَ أَنْ كَانَا فِي الْغَارِ فِي أَثْنَاءِ الْهِجْرَةِ، رَغْمَ قُرْبِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ مِنْهُمَا، كَمَا أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ هُوَ السَّبَبُ فِي نَجَاةِ "عِمْرَانَ" مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ.

تساءل التلميذ: ومَنْ "عمْرانْ" هذا يا أُستاذي؟ وكيفَ نَجا مِنْ مَوْتٍ مُحقَّقٍ؟

ردَّ الأُستاذ: "عمْرانُ" هذا يا بُنَيَّ كانَ تاجرًا للأقْمشةِ الحريريَّةِ غاليةِ الثَّمنِ، والأحْجارِ الكريمةِ النَّادرةِ مِثْل: الياقوتِ والمرْجانِ والزَّبرْجدِ. وفي إحْدى السَّفرِيَّاتِ، حمَلَ "عمْرانُ" على حِصانِه بَعْضَ هذهِ الأقْمشةِ الغاليةِ، وبَعْضًا مِنْ تِلْكَ الأحْجارِ النَّادرةِ، وقَصَدَ في سَفرِهِ بَلْدةً يُقامُ فيها سُوقٌ لمِثْلِ هذهِ البَضائعِ المرْغوبةِ لبَعْضِ مِنَ النَّاسِ. ومَعَ بدايةِ الطَّريقِ قرأَ "عمْرانُ" ما تيَسَّرَ مِنَ الآياتِ القُرآنيَّةِ ثُمَّ دَعا رَبَّهُ قائلاً: تَوكَّلْتُ على اللهِ..

وَفِي أَثْنَاءِ سَيْرِهِ فِي طَرِيقٍ تَغْلِبُ عَلَيْهِ الصَّحْرَاءُ إِلَّا مِنْ بَعْضِ الْأَشْجَارِ هُنَا وَهُنَاكَ، إِذْ بِاثْنَيْنِ مِنْ لُصُوصٍ وَقُطَّاعِ الطُّرُقِ يُهَاجِمَانِ "عِمْرَانَ"، وَيَطْرَحَانِهِ أَرْضًا وَيَأْخُذَانِ مِنْهُ كُلَّ الْأَقْمِشَةِ، وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَبَعْضَ الْمَالِ، وَالْحِصَانَ"، وَهُمَا أَنْ يَقْتُلَا "عِمْرَانَ"، فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِمَا أَلَّا يَقْتُلَاهُ، وَلَكِنَّهُمَا رَفَضَا هَذَا التَّوَسُّلَ، فَطَلَبَ مِنْهُمَا أَنْ يُمْهِلَاهُ دَقَائِقَ لِيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى قَبْلَ مَوْتِهِ، فَسَمَحَا لَهُ بِذَلِكَ.

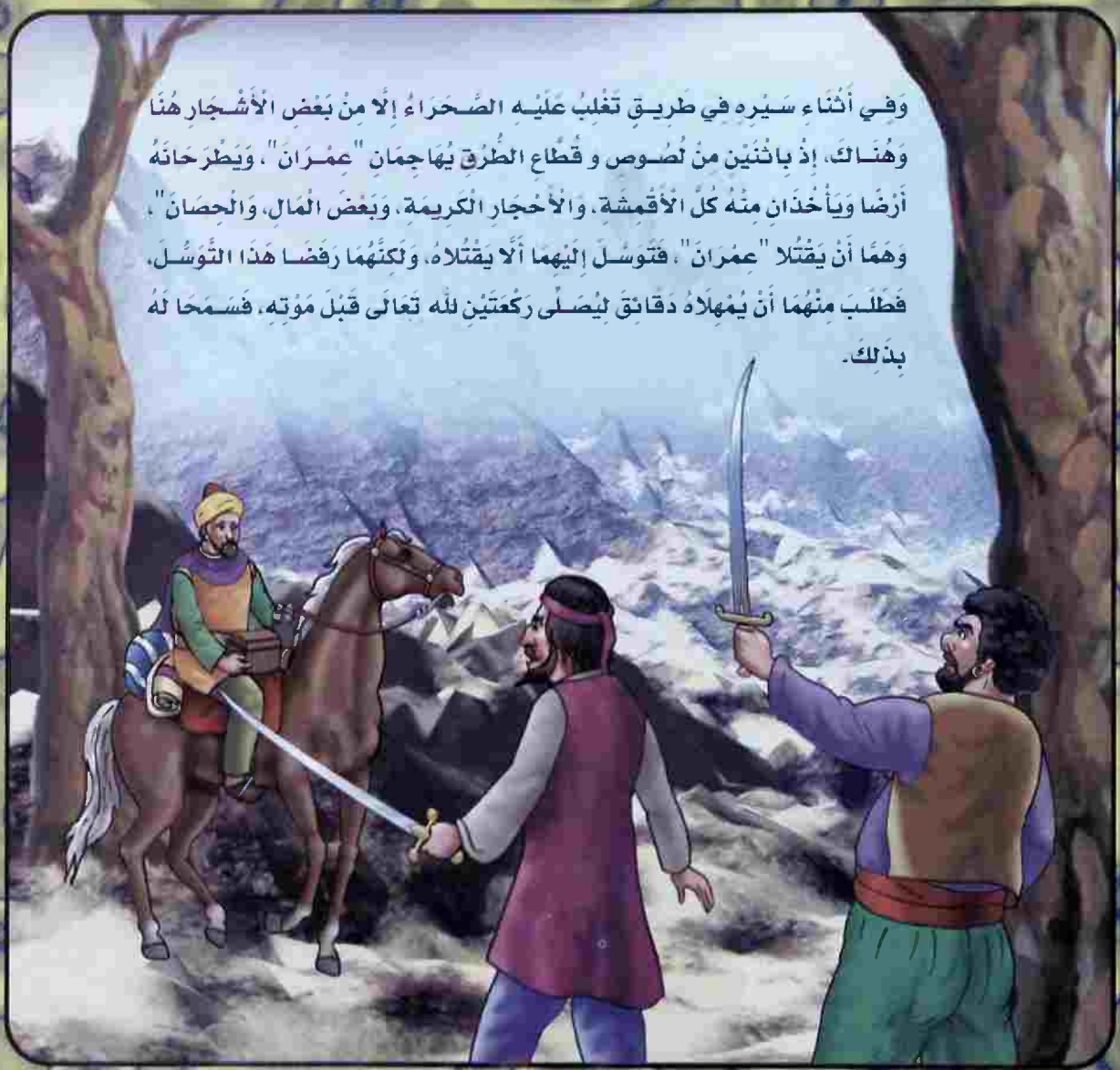

وَفِي أَثْنَاءِ الصَّلاةِ دَعَا "عِمْرَانُ" رَبَّهُ وَقَالَ: رَبِّ إِنِّي قَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ، اللَّهُمَّ نَجِّنِي مِنْ هَذَيْنِ الظَّالِمَيْنِ". وَبَعْدَ هَذَا الدُّعَاءِ مُبَاشَرَةً، حَدَّثَ كُلُّ لِصٍّ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ إِذَا قَتَلَ اللِّصَّ الآخَرَ، فَسَتُصْبِحُ كُلُّ هَذِهِ الثَّرْوَةُ لَهُ وَحْدَهُ.

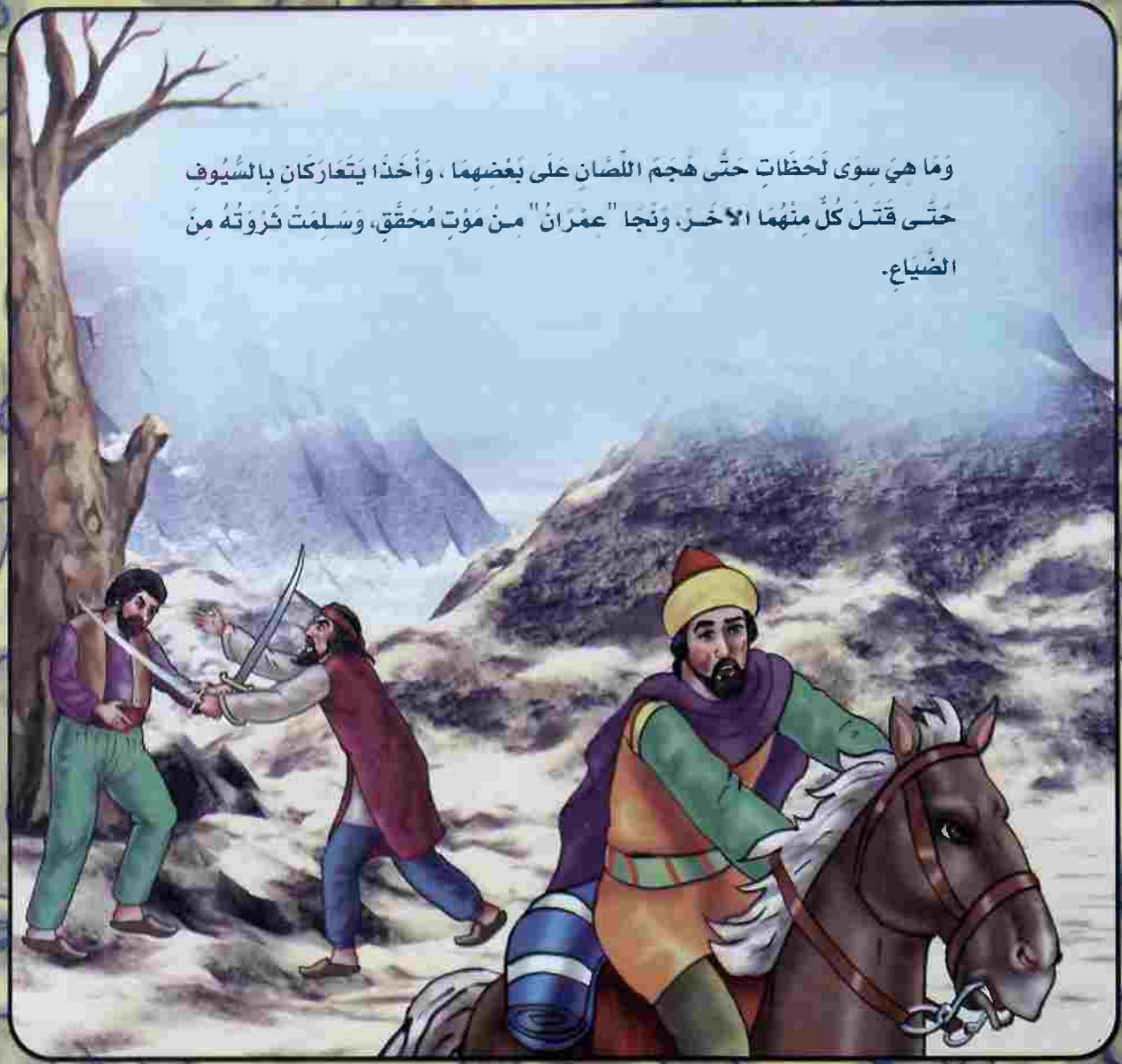

وَمَا هِيَ سِوَى لَحَظَاتٍ حَتَّى هَجَمَ اللِّصَانِ عَلَى بَعْضِهِمَا ، وَأَخَذَا يَتَعَارَكَانِ بِالسُّيُوفِ حَتَّى قَتَلَ كُلٌّ مِنْهُمَا الآخَرَ. وَنَجَا "عِمْرَانُ" مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ، وَسَلِمَتْ ثَرْوَتُهُ مِنَ الضَّيَاعِ.

قَالَ التِّلْمِيذُ: مَا أَجْمَلَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ، وَلَكِنْ يَا أُسْتَاذِي مَا عَكْسُ هَذِهِ الْقِيمَةِ؟

أَجَابَ الأُسْتَاذُ: عَكْسُ هَذِهِ الْقِيمَةِ يَا بُنَيَّ رَذِيلَةُ الاعْتِمَادِ عَلَى الْقُوَّةِ وَحْدَهَا، وَعَلَى الْمَالِ وَالنُّفُوذِ وَالسُّلْطَةِ، مِثْلَمَا فَعَلَ الْمَدْعُو "شَدِيدٌ".

تَسَاءَلَتِ التِّلْمِيذَةُ: وَمَنْ هُوَ الْمَدْعُو "شَدِيدٌ" هَذَا؟ وَمَا هِيَ حِكَايَتُهُ؟

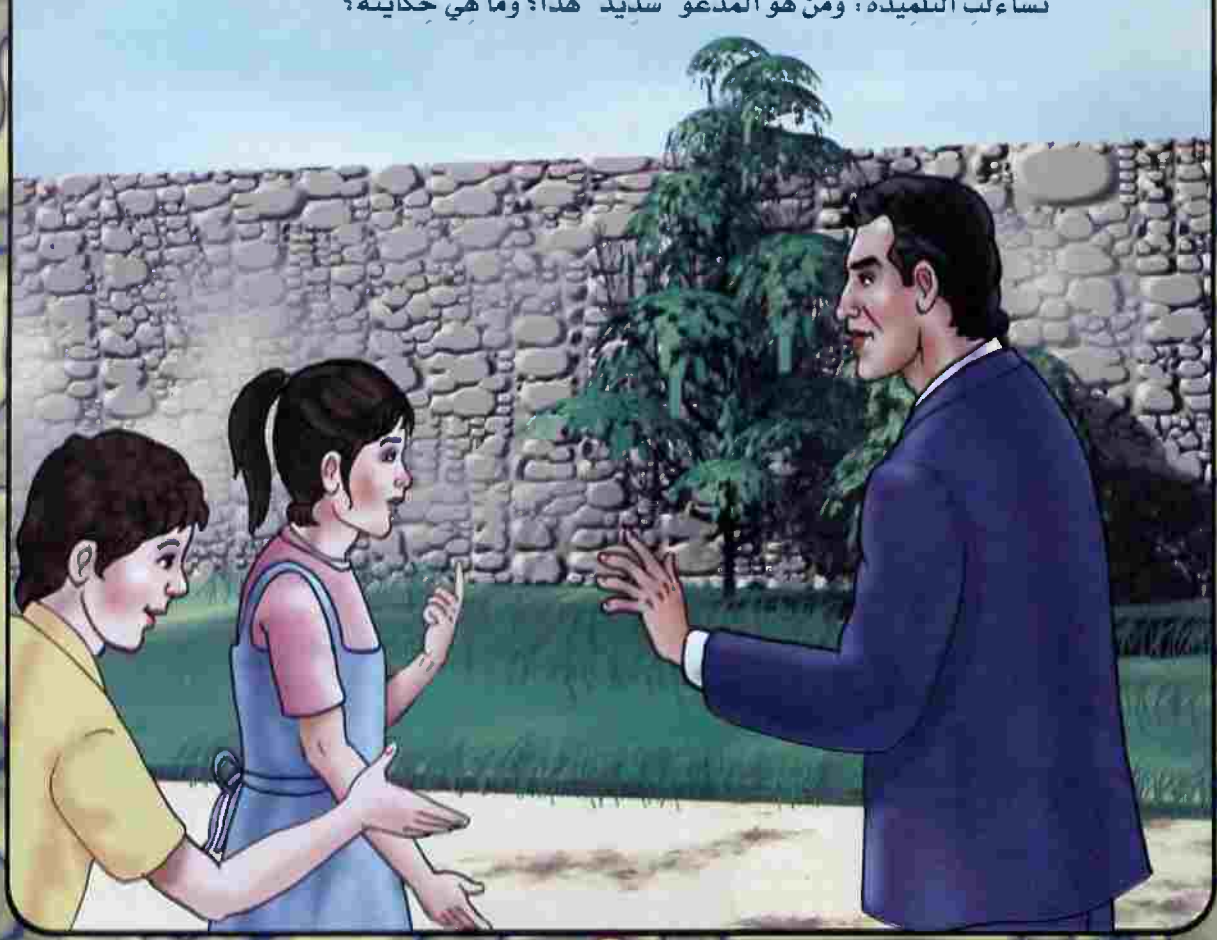

رَدَّ الأُسْتَاذُ: "شَدِيدٌ" هَذَا يَا بُنَيَّتِي كَانَ مِنْ رِجَالِ الأَعْمَالِ مِنْ أَصْحَابِ المَلايِينِ، كَثِيرَ الإِعْجَابِ بِنَفْسِهِ وَذَكَائِهِ، وَامْتِلاكِهِ لِصِحَّةٍ بَدَنِيَّةٍ عَالِيَةٍ، وَيَفْخَرُ بِقُدُرَاتِهِ عَلَى كَسْبِ المَالِ، وَيَعْمَلُ تَحْتَ إِدَارَتِهِ الكَثِيرُ مِنَ الأَفْرَادِ وَالعَامِلِينَ الَّذِينَ يَنْصَاعُونَ لأَوَامِرِهِ، وَيُنَفِّذُونَ رَغَبَاتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ "شَدِيدٌ" يُؤْمِنُ بِقِيمَةِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، وَكَانَ يُرَدِّدُ دَائِمًا: أَنَا بِذَكَائِي، وَمَالِي وَصِحَّتِي وَأَتْبَاعِي أُحَقِّقُ كُلَّ مَا أُرِيدُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُنَافِسَنِي.

وَفي إِحْدَى الصَّفَقَاتِ الْكُبْرَى تَعَاقَدَ "شَدِيدٌ" مَعَ أَصْحَابِ شَرِكَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ، وَوَضَعَ فِي تِلْكَ الصَّفْقَةِ كُلَّ مَالِهِ. وَظَنَّ أَنَّ هَذَا التَّعَاقُدَ سَيُضَاعِفُ أَمْوَالَهُ ثَلاثَةَ أَوْ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ. وَبَعْدَ مُرُورِ عِدَّةِ أَسَابِيعَ مِنْ هَذَا التَّعَاقُدِ اكْتَشَفَ "شَدِيدٌ" أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الشَّرِكَةِ الأَجْنَبِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ مَا هُمْ إِلَّا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُحْتَالِينَ الْعَالَمِيِّينَ، فَقَدِ اسْتَوْلَوْا عَلَى مَالِ "شَدِيدٍ" وَفَرُّوا هَارِبِينَ إِلَى خَارِجِ الْبِلَادِ.

وَلَمْ يَتَحَمَّلْ "شَدِيدٌ" صَدْمَةَ خَسَارَةِ كُلِّ أَمْوَالِهِ، فَأُصِيبَ بِالشَّلَلِ الَّذِي أَعْجَزَهُ وَأَقْعَدَهُ عَنِ الْعَمَلِ، وَتَفَرَّقَ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ مِنْ أَفْرَادٍ وَأَتْبَاعٍ وَأَصْدِقَاءَ، لِذَا فَإِنَّ عَدَمَ تَوَكُّلِ "شَدِيدٍ" عَلَى اللهِ أَفْقَدَهُ مَالَهُ وَصِحَّتَهُ وَمَعَارِفَهُ.

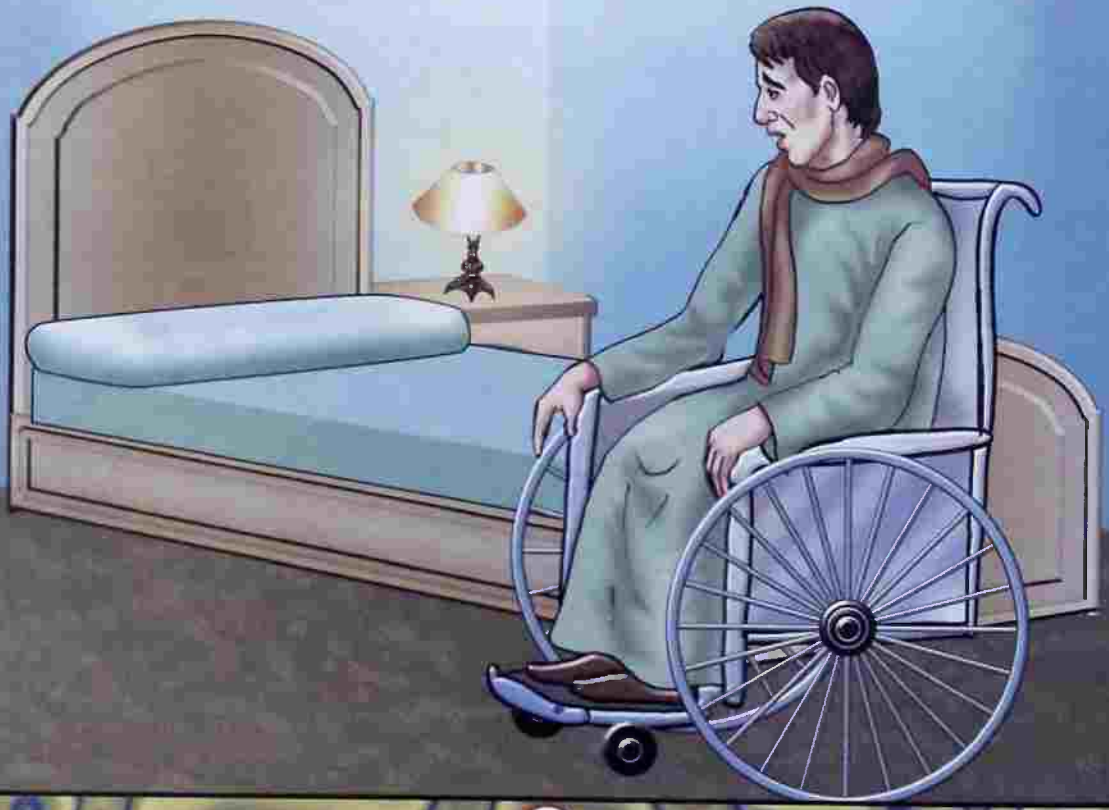

قَالَ التِّلْمِيذُ: يَا لَهُ مِنْ دَرْسٍ لِمَنْ لَا يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّه.

وَقَالَتِ التِّلْمِيذَةُ: صَحِيحٌ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه يَحْفَظْهُ. وَمَنْ لَا يَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ يَهْلِكْ.

رَفَعَ الْأُسْتَاذُ يَدَيْهِ قَائِلاً: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ.

رَدَّدَ كُلٌّ مِنَ التِّلْمِيذِ وَالتِّلْمِيذَةِ: آمِينَ.. آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.